بخصوص خميس العهد

# طقس اللقَّان[1]

**للأب متى المسكين**

## طقس غَسْل الأرجل:

سيُجرَى أمامكم الآن طقس غَسْل الأرجل، وهو ما يُسمَّى في الطقس الكنسي **باللقَّان**. وفي الواقع، يا إخوتي، إن هذا الطقس لم يأخذ مفهومه الكامل وأهميته في الكنيسة. ولذلك أردتُ أن أشرحه، لعلنا نستطيع أن نُدرك قيمة هذا الطقس الكنسي الذي استلمته الكنيسة من الرب مباشرةً، ولكن – للأسف – لم نَعِه بعد الوعي الكامل.

سنقرأ الآن الإنجيل الذي يُقرأ على اللقَّان، لأُنبِّه قلوبكم إلى الآيات التي يستمدُّ منها هذا الطقس أهميته العظمى:

**+ «أَمَّا يَسُوعُ قَبْلَ عِيدِ الْفِصْحِ، وَهُوَ عَالِمٌ أَنَّ سَاعَتَهُ قَدْ جَاءَتْ لِيَنْتَقِلَ مِنْ هذَا الْعَالَمِ إِلَى الآبِ، إِذْ كَانَ قَدْ أَحَبَّ خَاصَّتَهُ الَّذِينَ فِي الْعَالَمِ، أَحَبَّهُمْ إِلَى الْمُنْتَهَى. فَحِينَ كَانَ الْعَشَاءُ، وَقَدْ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي قَلْبِ يَهُوذَا سِمْعَانَ الإِسْخَرْيُوطِيِّ أَنْ يُسَلِّمَهُ، يَسُوعُ وَهُوَ عَالِمٌ أَنَّ الآبَ قَدْ دَفَعَ كُلَّ شَيْءٍ إِلَى يَدَيْهِ، وَأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ خَرَجَ، وَإِلَى اللهِ يَمْضِي، قَامَ عَنِ الْعَشَاءِ، وَخَلَعَ ثِيَابَهُ، وَأَخَذَ مِنْشَفَةً وَاتَّزَرَ بِهَا، ثُمَّ صَبَّ مَاءً فِي مِغْسَلٍ، وَابْتَدَأَ يَغْسِلُ أَرْجُلَ التَّلاَمِيذِ وَيَمْسَحُهَا بِالْمِنْشَفَةِ الَّتِي كَانَ مُتَّزِرًا بِهَا. فَجَاءَ إِلَى سِمْعَانَ بُطْرُسَ. فَقَالَ لَهُ ذَاكَ: "يَا سَيِّدُ، أَنْتَ تَغْسِلُ رِجْلَيَّ!" أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: "لَسْتَ تَعْلَمُ أَنْتَ الآنَ مَا أَنَا أَصْنَعُ، وَلكِنَّكَ سَتَفْهَمُ فِيمَا بَعْدُ". قَالَ لَهُ بُطْرُسُ: "لَنْ تَغْسِلَ رِجْلَيَّ أَبَدًا!" أَجَابَهُ يَسُوعُ: "إِنْ كُنْتُ لاَ أَغْسِلُكَ فَلَيْسَ لَكَ مَعِي نَصِيبٌ". قَالَ لَهُ سِمْعَانُ بُطْرُسُ: "يَا سَيِّدُ، لَيْسَ رِجْلَيَّ فَقَطْ بَلْ أَيْضًا يَدَيَّ وَرَأْسِي". قَالَ لَهُ يَسُوعُ: "الَّذِي قَدِ اغْتَسَلَ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ إِلاَّ إِلَى غَسْلِ رِجْلَيْهِ، بَلْ هُوَ طَاهِرٌ كُلُّهُ. وَأَنْتُمْ طَاهِرُونَ وَلكِنْ لَيْسَ كُلُّكُمْ". لأَنَّهُ عَرَفَ مُسَلِّمَهُ، لِذلِكَ قَالَ: "لَسْتُمْ كُلُّكُمْ طَاهِرِينَ"» (يو ١٣: ١ - ١١).**

أتمنى أن تنتبهوا جيدًا للآيات، لأن كل حرف في إنجيل يوحنا له قيمة، وكل آية مُركَّبة

(١) عظة ألقاها أبونا الروحي الأب متى المسكين على رهبان دير القديس أنبا مقار يوم خميس العهد ١٩٧٣/٤/٢٦.

على الآية التي تسبقها والتي تليها، وكل أصحاح مركَّب على الأصحاح الذي يسبقه والذي يليه. فإن لم يتحسَّس الإنسان الكلام كلمة كلمة، بوعي روحي وانتباه قلبي داخلي، لا يستطيع أن يَمسِك شيئًا.

الآن أضع أصابعكم الروحية على الآيات المُهمَّة جدًّا أولًا في الموضوع.

+ «أَمَّا يَسُوعُ قَبْلَ عِيدِ الْفِصْحِ، وَهُوَ عَالِمٌ أَنَّ سَاعَتَهُ قَدْ جَاءَتْ لِيَنْتَقِلَ مِنْ هذَا الْعَالَمِ إِلَى الآبِ، إِذْ **كَانَ قَدْ أَحَبَّ خَاصَّتَهُ الَّذِينَ فِي الْعَالَمِ، أَحَبَّهُمْ إِلَى الْمُنْتَهَى ... حِينَ كَانَ الْعَشَاءُ**».

إذن **العشاء** نتيجة مباشرة **للمحبة.**

+ «**يَسُوعُ وَهُوَ عَالِمٌ أَنَّ الآبَ قَدْ دَفَعَ كُلَّ شَيْءٍ إِلَى يَدَيْهِ** (ما في السموات وما على الأرض)، وَأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ خَرَجَ، وَإِلَى اللهِ يَمْضِي، قَامَ عَنِ الْعَشَاءِ، وَخَلَعَ ثِيَابَهُ، وَأَخَذَ مِنْشَفَةً وَاتَّزَرَ بِهَا، ثُمَّ صَبَّ مَاءً فِي مِغْسَلٍ، وَابْتَدَأَ يَغْسِلُ أَرْجُلَ التَّلاَمِيذِ وَيَمْسَحُهَا بِالْمِنْشَفَةِ».

انتبهوا! لقد أكدتُ على أن: «يَسُوعُ وَهُوَ عَالِمٌ أَنَّ الآبَ قَدْ دَفَعَ كُلَّ شَيْءٍ **إِلَى يَدَيْهِ**» (يو ١٣: ٣)، كل ما في السماء وما على الأرض: «دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الأَرْضِ» (مت ٢٨: ١٨)، انتبهوا لكلمة **"يديه"**، فبهاتين **اليدين** سوف يغسل أرجل التلاميذ، إذ أن القديس يوحنا لا يذكر هذه الآية جُزافًا وهو يقولها في البداية؛ فبالرغم من هذا، غَسَل أرجل تلاميذه **بيديه**.

«قَالَ لَهُ بُطْرُسُ: "لَنْ تَغْسِلَ رِجْلَيَّ أَبَدًا!"». فهو يظنُّ أنه مجرد غسيل: «لَنْ تَغْسِلَ رِجْلَيَّ أَبَدًا!»؛ كما أن الكنيسة تظنُّ حتى الآن أن هذا مجرد غَسْل أرجل أو طقس نُتمِّم به شيئًا ما سبق عمله فحسب، ولكننا سنُغيِّر كل هذا المفهوم. اسمعوا ما قاله المسيح لبطرس: «إِنْ كُنْتُ لَا أَغْسِلُكَ فَلَيْسَ لَكَ مَعِي نَصِيبٌ». ما هذا يا رب؟ ما هذا الأمر العجيب؟ إذن، فليس الأمر غَسْل أرجل. إذن، فماذا يكون؟ لقد انزعج بطرس جدًّا. إذن، فماذا يعني غَسْل الأرجل؟ هل غسيل رجليَّ سيُعطيني نصيبًا معك في السماء؟ نعم! ومن هنا سيبدأ طقس اللقَّان يأخذ كرامته في قلوبكم. وأتمنى أن يأخذ وَضْعَه في قلب الكنيسة

أيضًا بالتالي. «إِنْ كُنْتُ لَا أَغْسِلُكَ فَلَيْسَ لَكَ مَعِي نَصِيبٌ»، هذا هو طقس اللقَّان في عبارة موجزة.

**الإفخارستيا وليمة شُكر:**

ما هو الغسيل في الطقس اليهودي؟

لم يكن في الواقع في الطقس اليهودي غسل أرجل.

**الإفخارستيا أصلًا التي هي وليمة شكر** هي أصلًا **وليمة محبة**، وكان يُجريها الأتقياء جدًّا قبل الفصح بيوم، وعلى الخبز المُختمر استعدادًا للفصح. وفي أثناء هذه الوليمة اليهودية التي كانت تُجرى أيام المسيح، كان طقسها أنهم قبل العشاء كانوا يغسلون أيديهم فقط، دون الأرجل. وكان الصغير في العائلة – إن لم يكن هناك عبد – هو الذي يقوم بعملية غَسْل الأيدي. وتوجد صور لهذا الطقس من القرن الأول في الكنيسة. كذلك كان المفروض أيام المسيح أن أصغر الموجودين كان يوحنا الحبيب، فكان لا بد أن يوحنا هو الذي يصبُّ، ولكن التلاميذ فوجئوا بالمسيح يقوم ويخلع ثوبه الجميل ويشدُّ وسطه (كما سَتَرَوْنَ الأب الكاهن يشدُّ وسطه) وابتدأ ينحني ليغسل الأرجل.

إن الطقس أصلًا هو غَسْل يدين، فماذا في الأمر؟ انزعج التلاميذ وسكتوا ثم أتى النقاش بين التلاميذ: مَنْ الذي يغتسل أولًا؟ بطرس كان معروفًا أنه هو الذي يبدأ أولًا، ثم قام يهوذا وابتدأ يمدُّ رجله ليغتسل. فالأعمى دائمًا لا يعرف أين يمدُّ رجليه. أما بطرس فحينما جاءه الدور «فَجَاءَ إِلَى سِمْعَانَ بُطْرُسَ»، أي أن واحدًا كان قبله، فقال للرب: «يَا سَيِّدُ، أَنْتَ تَغْسِلُ رِجْلَيَّ!»، هل لأن الذي كان قبلي قَبِلَ أن يغسل رجليه، تأتي أنت لتغسل رجلي، لا! حينئذ قال له السيد: "لن تفهم الآن" ... دائمًا طقوس الكنيسة هكذا لن تُفهم الآن. مُدَّ رِجْلك، افتح فمك، كُل اللقمة، اشرب الدم. لن تعرف الآن ما هذا! فمظهره بسيط ضعيف غير مفهوم. كل طقس الكنيسة، مضمون الأسرار كلها، هو هذه الآية: **«أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: لَسْتَ تَعْلَمُ أَنْتَ الآنَ مَا أَنَا أَصْنَعُ، وَلكِنَّكَ سَتَفْهَمُ فِيمَا بَعْدُ (مضمون السرِّ الكنسي)»** (يو ١٣: ٧). لذلك هناك كثيرون مثل بطرس يقولون: ما قيمة هذه الأسرار؟ ما هذه الأسرار؟ خبز، خمر، غسيل رجلين، ما هذا؟

ولكن، الإجابة على هذه التساؤلات، ستفهمها فيما بعد. ستفهم فيما بعد. إن استطاع الأب الروحي أن يُفهِّمك كان هذا أمرًا جيدًا؛ إن لم يقدر، فالروح القدس يُفهِّمك. وإن لم يكن، فستفهم تمامًا حينما تنال النعمة. وإن لم تقدر أن تفهم حتى بعد أن تنال النعمة وتعمل فيك، فستفهم هناك فوق (في الأبدية)، يكفيك الآن أن تكون مُطيعًا لكلمة الله وطقس الكنيسة والسر، لكي تنال كل البركات السماوية.

في الواقع نرجع ثانية ونؤكِّد على ما سبق أن أكَّدنا عليه:

"يسوع وهو عالمٌ ...، انحنى وغَسَل بيديه أرجل تلاميذه". نشكر الله جدًّا أن القديس يوحنا انتبه انتباهة روحية وأعطانا هذا المنظر المُبدع. هل يمكن أن تنظروا معي من العلّية وتفتحوا جزءًا من النافذة وتنظروا رب المجد – خلسة – لأننا لا نستطيع أن ندخل أكثر من ذلك. وحينئذ سنرى رب المجد المُتسربل بالنور كالثوب، الذي صعد إلى السماء وجلس عن يمين العظمة في الأعالي كموضع أساسي له، سنراه منحنيًا كعبد، وهنا تحضرني آية بولس الرسول: «فَلْيَكُنْ فِيكُمْ هذَا الْفِكْرُ الَّذِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ أَيْضًا. الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلًا للهِ. لكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، **آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ** ...» (في ٢: ٥-٧). فالمسيح لم يقف أبدًا موقف العبد الذي يغسل أرجل أسياده إلَّا في هذا الموقف. لقد أبدع جدًّا بولس الرسول عندما قال: «وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ، **وَضَعَ نَفْسَهُ** ...» (في ٢: ٨). استطاع المسيح أن يطيع حتى الموت، ثم أتت الإفخارستيا و"أحنى ظهره"، "أحنى نفسه". بل كَسَرَ نفسه وانحنى إلى التراب، بل أكثر من التراب لأنه غَسَلَ التراب عن أرجل تلاميذه: «وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ مَوْتَ الصَّلِيبِ» (في ٢: ٨).

**سر الاتضاع:**

هنا الارتباط قوي وشديد جدًّا ما بين "وَضَعَ ذاته"، و" أطاع حتى الموت". هل رأيتم سر الكنيسة، سر الاتضاع الذي يُعطي بالتالي أو يُهيِّئ ويهب الاستحقاق للاشتراك في الموت والقيامة في سرِّ الإفخارستيا. هل رأيتم لماذا يُعمَل اللقَّان قبل الإفخارستيا: «وَضَعَ نَفْسَهُ» وَ«أَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ، مَوْتَ الصَّلِيبِ»!

اليدان اللتان قيل عنهما إنه قد "دُفِعَ كل شيء إلى يديه"، ابتدأ الرب يغسل بهما أرجل تلاميذه. في الواقع هنا إشارة خفية: دائمًا يكتب يوحنا هكذا، إنه لا يكتب كلامًا جُزافًا: ما

فائدة هذه الآية؟ هل لها علاقة باللقَّان أو بالإفخارستيا؟ حسب الظاهر ليس لها علاقة: «يَسُوعُ وَهُوَ عَالِمٌ أَنَّ الآبَ قَدْ دَفَعَ كُلَّ شَيْءٍ إِلَى يَدَيْهِ، وَأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ خَرَجَ، وَإِلَى اللهِ يَمْضِي» (يو ١٣: ٣). هنا ارتباطٌ شديد، وآية مُرتبطة بآية أُخرى إلى أقصى حدٍّ، ولو أنهما ليسا مفهومَيْن أبدًا. والذي يقرأ بسرعة وبدون عمق لن يجد أيَّ ارتباط. فما هو الرباط بين أن الآب دَفَعَ كل شيء إلى يدَي المسيح، وبين أن ينحني المسيح ويغسل أرجل تلاميذه؟ هنا يوحنا يضع إشارة σημεῖον. دائمًا ما يذكره يوحنا من آيات يُشير إلى العمل الذي يعمله المسيح، ودائمًا العمل الذي يعمله يُشير إلى الآية بإحكامٍ مُذهل للعقل.

عندما تتفاعل روحيًّا مع الآيات التي يذكرها يوحنا الرسول، تحسُّ في الحال أن هذا فعلٌ إلهي يفوق العقل، ويفوق احتمال الكيان البشري. يوحنا الرسول يريد أن يقول إن المسيح إذ يَعْلَم تمامًا مَنْ هو، يَعْلَم أن السماء كلها بكل أمجادها قد دُفِعَت لتكون تحت سلطان **يديه**، والأرض أيضًا بكل ملوكها، وبيلاطس ومَنْ فوقه ومن تحته؛ وبالرغم من ذلك انحنى وبهاتين **اليدين** ابتدأ يضع الطقس الأساسي في الكنيسة الذي سنتكلَّم عنه.

ما يقصد يوحنا الرسول أن يقوله هو إن المسيح لم يكن يصنع هذا عن عَوَز أو عن صِغَر نفس، لأن ساعته قد جاءت وهو شاعرٌ بالحزن ويريد أن يتقرَّب إلى تلاميذه، ويريد أن يُظهِر مجرَّد اتضاع. لا، يا أحبَّائي، هنا التجسُّد مرَّة أخرى في وَضْعٍ عملي، هنا الإخلاء الذي حدث في التجسُّد، يأخذ صورة من أعجب الصُّوَر: «وَهُوَ عَالِمٌ أَنَّ الآبَ قَدْ دَفَعَ كُلَّ شَيْءٍ **إِلَى يَدَيْهِ**»، «مِمَّا فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الأَرْضِ»، انحنى كعبدٍ وغَسَلَ أرجل تلاميذه. هنا إخلاءٌ على وَضْعٍ إلهي إلى أقصى سُموِّه ومستواه، إخلاءٌ إلهي. هنا سنأخذ منه سرَّ اتضاعٍ حقًّا. سنحاول أن نخفِّضه، كما في الكهرباء حينما يُخفِّضون التيار من طاقةٍ عالية إلى طاقةٍ مُحتملة. هنا الوضع الإلهي هائل على أعلى مستوى. المسيح هنا، في الواقع، يُجري عملية إخلاء على مستوى عملي فوق مستوى الذهن البشري عمومًا، لا يستطيع أن يُدركه إنسان، فلا تنتظروا أن أشرحه. الإخلاء الإلهي شيء لا يُشرَح. هل أقول: إن الرب هو بعينهِ الذي تسجد له الشاروبيم وتُسبِّحه السيرافيم، وهو الذي تصرخ الأجناد حينما ترى وجهه ... إلخ. ثم نراه في عمل إخلائي، أخلى نفسه من كل صورة المجد وبهاء المجد ونور المجد، وانحنى في وضعٍ يكاد يحتقره الإنسان أشدَّ الاحتقار. هنا أخَذَ الرب صورة العبد أو وَضْع العبد، وابتدأ يغسل الأرجل.

لقد شرح ذلك المسيح لتلاميذه:

+ «فَلَمَّا كَانَ قَدْ غَسَلَ أَرْجُلَهُمْ وَأَخَذَ ثِيَابَهُ وَاتَّكَأَ أَيْضًا، قَالَ لَهُمْ: "أَتَفْهَمُونَ مَا قَدْ صَنَعْتُ بِكُمْ؟ أَنْتُمْ تَدْعُونَنِي مُعَلِّمًا وَسَيِّدًا (هنا لا يريد أن يقول لهم: تدعونني إلهًا، لأن ذهنهم لم يكن قد فُتِحَ بعد، والروح القدس لم يكن قد حلَّ عليهم لكي ينطقوها بالإيمان والوعي الكامل)، وَحَسَنًا تَقُولُونَ، لأَنِّي أَنَا كَذلِكَ. فَإِنْ كُنْتُ وَأَنَا السَّيِّدُ وَالْمُعَلِّمُ قَدْ غَسَلْتُ أَرْجُلَكُمْ (هنا يُتمِّم النزول من الجهد العالي إلى الجهد المنخفض)، "فَإِنْ كُنْتُ وَأَنَا الإله قد صنعتُ هذا الذي يفوق مقدرة الإنسان في الوعي والإدراك. ولكنكم رأيتموني ماذا أفعل وأنا السيِّد والمعلِّم، أفعل نفس الفعل الذي يعمله العبد أو الخادم أو الأصغر، وهو يغسل الأيدي وليس الأرجل. ومع ذلك قد غسلتُ **أرجلكم**". وهنا يؤكِّد الرب على "الأرجل"، لأن غَسْل الأرجل عملٌ جديد في الطقس اليهودي لم يكن موجودًا) فَأَنْتُمْ يَجِبُ عَلَيْكُمْ أَنْ يَغْسِلَ بَعْضُكُمْ أَرْجُلَ بَعْضٍ، لأَنِّي أَعْطَيْتُكُمْ مِثَالًا، حَتَّى كَمَا صَنَعْتُ أَنَا بِكُمْ تَصْنَعُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا. اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ لَيْسَ عَبْدٌ أَعْظَمَ مِنْ سَيِّدِهِ» (يو ١٣: ١٢ - ١٦).

في الواقع، يا أحبَّائي، لا أستطيع أن أوفي الموضوع حقَّه، لأن هناك إجراءاتٍ طقسية ستأخذ وقتًا إلى الغروب ولكنني ألمس لمساتٍ خفيفة لأضع الطقس في موضعه الصحيح.

ولكن، يا سيدي، الأمر مُذهل، لأن الرب لم يكتفِ بذلك. فقد أضاف شيئًا ما له مفهوم كبير لم يشرحه: «إِنْ كُنْتُ لَا أَغْسِلُكَ فَلَيْسَ لَكَ مَعِي نَصِيبٌ. قَالَ لَهُ سِمْعَانُ بُطْرُسُ: يَا سَيِّدُ، لَيْسَ رِجْلَيَّ فَقَطْ بَلْ أَيْضًا يَدَيَّ وَرَأْسِي» (يو ١٣: ٨، ٩).

## هل المسألة مسألة غسيل؟

لا، ليست المسألة مسألة غسيل! ارفعوا قلوبكم معي! هذا الطقس الكنسي وكل الطقوس الكنسية تتسامى جدًّا عن وضعها المنظور المادي. تعالوا نرتفع ونتسامى أيضًا في مفهوم جديد لهذا الطقس: «قَالَ لَهُ يَسُوعُ: **الَّذِي قَدِ اغْتَسَلَ** ...»، وحينما رجعتُ للأصل اليوناني وجدتها "**استحمَّ**" أي "**اعتمد**". لذلك «قَالَ لَهُ يَسُوعُ: **الَّذِي قَدِ اغْتَسَلَ** (استحمَّ، اعتمد) لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ إِلاَّ إِلَى غَسْلِ رِجْلَيْهِ، بَلْ هُوَ طَاهِرٌ كُلُّهُ. وَأَنْتُمْ طَاهِرُونَ

وَلكِنْ لَيْسَ كُلُّكُمْ (بسبب يهوذا، بالرغم من أنه اغتسل واستحمَّ وغُسِلَت له رجلاه، لكنه أيضًا غير طاهر)». وأما أنتم فطاهرون، ليس فقط من أجل العماد الذي تعمَّدتموه، ولكن أيضًا من أجل الكلام الذي كلَّمتكم به، أنتم طاهرون. ولكن، ماذا يقصد الرب من هذا الكلام؟ «قَالَ لَهُ يَسُوعُ: الَّذِي قَدِ اغْتَسَلَ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ إِلاَّ إِلَى غَسْلِ رِجْلَيْهِ».

بعد المعمودية هناك احتياج إلى غَسْل الأرجل. ما هذا يا رب؟ وتكون قبل هذا السر بالذات. ليس الأمر أَكْل في وليمة محبة، ولكن الرب قادمٌ هنا على عمل خطير جدًّا، على سرٍّ يُسمَّى سرَّ الأسرار. فابتدأ يُجري فيهم عملًا إلزاميًّا، عملًا ضروريًّا حتميًّا، إذ لا بد أن يُمهِّد لهم لنَيْل الشركة في الإفخارستيا التي سيُقدِّمها المسيح لهم. فيبدأ الرب بغَسْل الرجلين، ولكن يوحنا الرسول – يا للعجب – لا يكتفي بأن الربَّ غَسَل الأرجل، وإنما ذَكَرَ عبارة ستنذهل من وجودها لأنها تشير إلى شيء. هكذا ذَكَرَ يوحنا الرسول: «**ثُمَّ صَبَّ** مَاءً فِي مِغْسَلٍ، وَابْتَدَأَ يَغْسِلُ أَرْجُلَ التَّلاَمِيذِ **وَيَمْسَحُهَا بِالْمِنْشَفَةِ**» (يو ١٣: ٥).

**المسيح يمسح أرجل التلاميذ بالمنشفة:**

«**ثُمَّ صَبَّ** مَاءً فِي مِغْسَلٍ، وَابْتَدَأَ يَغْسِلُ أَرْجُلَ التَّلاَمِيذِ **وَيَمْسَحُهَا بِالْمِنْشَفَةِ**». لماذا مسحها المسيح؟ ولماذا بالمِنْشفة؟ يوحنا دائمًا يُشير وإشاراته عجيبة. هل رأينا حدث غسيل أرجل ثم تنشيفها أو مَسْحها؟ هنا نذكُر هذا الحدث: «فَأَخَذَتْ مَرْيَمُ مَنًا مِنْ طِيبِ نَارِدِينٍ خَالِصٍ كَثِيرِ الثَّمَنِ، وَدَهَنَتْ قَدَمَيْ يَسُوعَ، وَمَسَحَتْ قَدَمَيْهِ بِشَعْرِهَا» (يو ١٢: ٣). وعندما تذمَّر التلاميذ وعلى رأسهم يهوذا، قال يسوع: «اتْرُكُوهَا. إِنَّهَا لِيَوْمِ تَكْفِينِي قَدْ حَفِظَتْهُ». لقد اعتبَر المسيح أن دَهْن رجليه بالطِّيب ومسحهما عبارة عن تكفين للجسد. هنا المسيح يُجري نفس الإجراء لتلاميذه بصورةٍ مُبدعة.

فالمرأة بدموع التوبة وبدُهْن انسحاق نفسها المُنكسرة وانحنائها على قدمَي الرب وهو مُتَّكئ **كَسَرت القارورة، قارورة حبها، قارورة نفسها المُنسحقة،** وقارورة حبها الذي تريد أن تُعبِّر عنه أفضل تعبير، فقد ضربت عُنق القارورة من الألباستر: (٣٠٠٠ – ٤٠٠٠ جنيه. وهو نوع من الرخام الشفَّاف يَظْهَر من خلالهِ ما يحتويه من سائل)؛ وهذا تعبيرٌ أنها لا تريد من وراء ذلك شيئًا، وقد سَكَبَت الطِّيب على قدميه ومَسَحَت الرجلين بشعرها.

يا حبيبنا يسوع، أرى الآن نفس الرؤية، أرى قارورة طيب حياتك، وصفاتك الطيبة التي

هي أغلى من النارديين الخالص الغالي الثمن، صفات الاتضاع العجيبة التي لا يمكن أن نُسمِّيها اتضاعًا في مفهومك الإلهي، بل هي إخلاء، فقد احتوت هذه القارورة حُبَّك الفائق للبشرية.

لقد وضعتُ، يا أحبَّائي، أصابعكم أولًا على كلمة «أحبَّ خاصته». يا للحب المحفوظ في قارورة نفسك الوديعة التي كَسَرْتَها بيديك يا يسوع في هذه الانحناءة العجيبة! مَنْ يستطيع أن يُقيِّم انحناءة المسيح كإنسانٍ، مجرَّد إنسان، يغسل أرجل إنسان، إنه انكسار نفس. **يا مَنْ كَسَرتَ نفسك بيديك قبل أن يكسروا جسدك** بأيديهم الشريرة، كَسَرتَ نفسك لكي تُعِدَّ الجسد لينحني لصالبيك؛ استطعتَ في عملٍ تواضعي عجيب سلَّمته لتلاميذك، لا بالمعنى المفهوم ولا بشرح الآية، ولكن بالسرِّ الإلهي الذي أومن يا رب إيمانًا وثيقًا أن هذا السرَّ، الذي هو الإخلاء عينه، انتقل من قلبك المتَّسع الكبير إلى قلوبهم بالسر، سر اللقان، سر غَسْل الأرجل. لذلك، ولذلك فقط، تلمع الآية أمام ذهني يا رب، وليتها تلمع في ذهن كل سامعيك في كل زمان: **«إِنْ كُنْتُ لَا أَغْسِلُكَ فَلَيْسَ لَكَ مَعِي نَصِيبٌ»** (يو ١٣: ٨).

**سر الاتضاع كقوَّة إلهيَّة:**

لأن هنا في الغسيل سوف يستلم بطرس **سر نصيبه السماوي، فما هو هذا النصيب؟ وما هو هذا السر لهذا النصيب؟** إنَّه سر الاتضاع كقوة إلهيَّة وليست بشريَّة، كنعمة فائقة على كل مستوى بشري، تنتقل من يديك يا رب اللتين تسلَّمتا كل سلطان ما في السموات وما على الأرض، لتُسلِّم بالتالي هذه الصفة السماويَّة الفائقة، تُسلِّم سرَّ اتضاع الابن الذي أعطاه إمكانية أن يترك السماء وينزل إلى الأرض مُتجسِّدًا في صورة عبد، وينحني ليُسلِّم هذا السرَّ عينه في هذا الطقس العجيب الذي ضعف عمله في قلوب الشعب ولم يَعُدْ له إلَّا صورة باهتة لعمل عُمِلَ هناك أيام المسيح. مع أنه، يا أحبَّائي، لا يزال هو هو سرَّ التجسُّد بعينه، وهو هو سر الإخلاء بعينه؛ يُسلَّم لنا في هذا الطقس من عامٍ إلى عام، نأخذه كقوةٍ سماوية تؤهِّلنا بالسرِّ أن نكون شركاء في موت المسيح. فقبل أن نأخذ هذه الشركة، شركة أو سر موت المسيح في جسدٍ مكسور على الصليب ومُقدَّم على المذبح، نأخذه في سرَّ انكسار نفس المسيح في طقس غَسْل الأرجل.

نحن اليوم مدعوُّون إلى إفخارستيا من أعلى درجة، نحن مدعوُّون اليوم إلى أخْذ هذا السر السماوي، سر الإخلاء عينه، سر الاتضاع الإلهي، في قوته الإلهيَّة التي بدونها لا يمكن أن ينحني إلهٌ لإنسانٍ. فكم بالحري أننا مُطالبون، كما فعل الرب، أن ينحني

السيِّد لخادمه، وذلك بسرِّ الإخلاء؟ كيف تبلغ البشرية إلى الإخلاء إن لم يضعه المسيح فيها بسرٍّ يفوق العقل؟

نشكرك أيها الإله العجيب. لِمَا صنعته لنا يوم أسَّست الإفخارستيا، أسَّست سرًّا عجيبًا رهيبًا. إنك تُعطي الإنسان قدرة، لا أن ينحني لإنسانٍ مثله، ولكن كل سيد، كل عظيم، كل مُعلِّم، يستطيع في المسيح يسوع، في سرِّ الرب، في سرِّ غَسْل الأرجل، أن ينحني راضيًا فَرِحًا مسرورًا شاكرًا، لأنه سيكون شريك سرِّ المسيح، لأنه سيأخذ شركة في موتٍ حقيقي مخفي عن الأعين، سر موت حقيقي على مستوى النفس المُنسحقة والمُنحنية. ينحني الكاهن، ينحني رئيس الكهنة، ينحني كل سيِّد وكل عظيم، وكل رجل غني: ينحني لا ليُعطي مالًا في حِجْر الفقير أو في يده، ولكن يفتخر ويُسَر أن ينحني ويغسل رِجلَي الفقير. يقول المسيح: "أنا غسلتُ أرجلكم، وأنتم مُطالبون أن يغسل بعضكم أرجل البعض".

بهذا المفهوم، يا أحبَّائي، نخرج من هذا الطقس، لا بمعرفة، ولكن بسرٍّ ننال اليوم بقوةٍ إلهيَّة تنسكب في قلوبنا في سرِّ المسيح، في سرِّ غَسْل الأرجل.

## صـــلاة

**يا ربنا يسوع المسيح يا مَنْ أغنيتَ كنيستك بأسرارها، أعطِ لعبيدك وللكنيسة ووعَّاظك والمعلِّمين وكهنتك أن يرفعوا الغطاء الذي وُضِعَ طويلًا على القلوب، لكي يكتشفوا النور المخبوء في أسرارها، ليغتسلوا، بل لينالوا موهبتك السماويَّة، شركة في موتٍ حقيقي لشركة في حياةٍ حقيقية.**

**أعْطِنا يا ابن الله أن نمتدَّ بهذا الطقس من شكله المرسوم في يومٍ مُعيَّن من أيام السنة ليكون حياةً لنا نتذكَّر فيها عملك هذا العجيب وتلتهب قلوبنا فينا. يسري من يديك الحانيتين سرُّ الاتضاع إذا سكبته فينا، وكذلك تتطهَّر الأرض كلها وتتنقَّى إذا تلامَسَت مع هذا السرِّ، أنت الذي السماء كلها غير طاهرة أمامك. أعْطِنا أن نتلامس مع يديك اليوم وكل يوم لنأخذ منها سرَّ الاتضاع لكي لا نستثقل أبدًا أيَّ عمل إهانة، عمل اتضاع، عمل مَسْكنة، عمل حبٍّ ببَذْل يا رب؛ لأننا نكون في ذلك مؤهَّلين بالحقِّ لسرِّ الإفخارستيا. آمين ليتمجَّد اسمك في كنيستك من الآن وإلى الأبد. آمين.**